جامعـة المنصــورة
كليــة التربية
–

قراءة تربوية في آيات سورة الفتح

(دراسة تحليلية أصولية)

إعـداد
محمد نصر الدين أحمد العقاد

إشـــراف
أ.د/ مجدى صلاح طه المهدى
أستاذ ورئيس قسم أصول التربية
كلية التربية - جامعة المنصورة

د/ أمل معوض الهجرسى
أستاذ مساعد أصول التربية
كلية التربية - جامعة المنصورة

مجـــلة كلـــية التربية – جامعـــة المنصـــورة
العدد ١١٤ – إبريل ٢٠٢١
قراءة تربوية في آيات سورة الفتح
(دراسة تحليلية أصولية)

محمد نصر الدين أحمد العقاد

مقدمة

من المعروف أنه لا يمكن لأي تربية تنطلق وتنبثق من فراغ، وإنما تنبع وتتوجه من خلال مصادر مرجعية تستمد منها أهدافها، وأفكارها ومعتقداتها، والأصول المرجعية للتربية الإسلامية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وسيرة الصحابة ومنهجهم التربوي، وكذلك جهود علماء المسلمين في الماضي والحاضر.

والتأمل والتدبر للكتاب الكريم ومحاولة فهم معانيه والتوصل إلى شيء من أسراره مطلب لكل عامل يبحث عن الطريقة التربوية المثلى، فالله مبدع الكون ومدبره وخالق الإنسان ومصوره هو اعلم بما يصلحه ويحقق له سعادة الدنيا والآخرة.

والتأمل والتدبر للكتاب الكريم ومحاولة فهم معانيه والتوصل إلى شيء من أسراره مطلب لكل عامل يبحث عن الطريقة التربوية المثلى، فالله مبدع الكون ومدبره وخالق الإنسان ومصوره هو اعلم بما يصلحه ويحقق له سعادة الدنيا والآخرة.(سعيد إسماعيل علي ٢٠٠٦ ، ٢٣)

ولذلك أنزل الله القرآن الكريم على سيدنا محمد (ﷺ) ليبقى المعجزة الخالدة والنبع الذي لا ينضب حتى تكمن الفائدة منه في كل زمان وحين، وكلما تطور الإنسان في العلم وتقدم به الزمان وجد أنه خاضع ، أما هذا الكتاب الكريم فهو يعلو ولا يعلى عليه ونحن في هذا الزمان حيث كثرت الفتن وتعددت أسبابها بأشد الحاجة إلى الرجوع إلى كتاب الله حيث العلاج النافع والملاذ الآمن من كل فتنة ومصيبة .

فمن هذا الباب ينطلق هذا البحث في جانب يسير من آيات القرآن الكريم وهي سورة الفتح حيث إنها تحتوي على مضامين تربوية كثيرة بحاجة إلى إظهارها وتبنيها، حتى يمكن الاستفادة منها .

ففي مطلع هذه السورة: يقول الله تعالى : (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ) **[الفتح:١-٣]**

يوجه الله تعالى خطابه لنبيه إنا فتحنا لك أيها الرسول فتحاً مبيناً، يظهر الله فيه دينك، وينصرك على عدوك، والإشارة هنا الى هدنة الحديبية التي أمن الناس بسببها بعضهم بعضاً، فاتسعت دائرة الدعوة لدين الله، وتمكن من يريد الوقوف على حقيقة الإسلام مِن معرفته، فدخل الناس تلك المدة في دين الله أفواجاً؛ ولذلك سمَّاه الله فتحاً مبيناً، أي ظاهراً جلياً.(محمد الغزالي ٢٠٠٣، ٤٣٢) ثم يقول تعالى: ((ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ) [الفتح:٧]

وهنا يوضح لنا القرآن الكريم بعد توجيه الخطاب للرسول الكريم إننا فتحنا لك ذلك الفتح، ويسَّرناه لك؛ ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ بسبب ما حصل من هذا الفتح من الطاعات الكثيرة وبما تحملته من المشقات، ويتم نعمته عليك بإظهار دينك ونصرك على أعدائك، ويرشدك طريقاً مستقيماً من الدين لا عوج فيه . وينصرك الله نصراً قوياً لا يَضْعُف فيه الإسلام . (فضل حسن عباس : ٢٠٠٥ ، ٣٢)

الله تعالى الذي أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم الحديبية فسكنت، ورسخ اليقين فيها؛ ليزدادوا تصديقاً لله واتباعاً لرسوله مع تصديقهم واتباعهم. ولله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض ينصر بهم عباده المؤمنين. وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه. ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري مِن تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، ويمحو عنهم سيِّئ ما عملوا، فلا يعاقبهم عليه، وكان ذلك الجزاء عند الله نجاة من كل غم، وظَفَراً بكل مطلوب. ويعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين يظنون ظناً سيئاً بالله أنه لن ينصر نبيه والمؤمنين معه على أعدائهم، ولن يُظهر دينه، فعلى هؤلاء تدور دائرة العذاب وكل ما يسوءهم، وغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وأعدَّ لهم نار جهنم، وساءت منزلا يصيرون إليه. ولله سبحانه وتعالى جنود السموات والأرض يؤيد بهم عباده المؤمنين. وكان الله عزيزاً على خلقه، حكيماً في تدبير أمورهم.

مشكلة الدراسة :

إن البحث في القرآن الكريم وما يحتويه من قصص وما يتضمنه ذلك القصص من مواقف تفاعليه تربوية سيشكل إضافة جديدة للفكر التربوي الإسلامي المستمد من القرآن الكريم باعتباره مصدرا رئيسا للفكر التربوي الإسلامي.

من هنا جاءت فكرة البحث الذي يسعى نحو قراءة تربوية لبعض آيات سورة الفتح واستنتاج المؤشرات التربوية التي يمكن الاستفادة منها كمدخل للتربية الإسلامية مستمدة من القرآن الكريم .

فالدراسات التربوية الإسلامية لا يكفيها استخلاص النظريات والآراء والمسلمات من تراثنا بل لا بد من التفاعل مع المشكلات المعاصرة لطرح حلول إسلامية لتلك المشكلات في ضوء الكتاب والسنة.

ومن خلال نتائج الدراسات السابقة وانطلاقا من هذه التوصيات جاءت فكرة هذه الدراسة يمكن صياغة الأفكار والمفاهيم التربوية التي يمكن الاستدلال عليها من التحليل الوصفي لمحتوى وتفسير سورة الفتح؟ ومن كل ما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات الاتية .

١- ما الإطار المفاهيمي للفكر التربوي الإسلامي ؟
٢- ما أهم المضامين التربوية القطرية الواردة في سورة الفتح المتعلقة (الأهداف الأخلاقية – الأهداف السياسية – الأهداف الإعلامية).
٣- ما أهم المضامين التربوية التطبيقية الواردة في سورة الفتح (المناهج وطرق التدريس – أساليب التربية – أساليب التقويم).
٤- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من المضامين التربوية الواردة في سورة الفتح في التربية المعاصرة ؟

هدف الدراسة :

هدفت الدراسة إلى استنباط بعض المضامين التربوية فى سورة الفتح ، ومقاصدها ومكانتها التربوية من السورة من خلال التعرف على أهم المبادئ ، والقيم والأساليب ،المستنبطة من آياتها ، المتعلقة بالأهداف وطرق التدريس وأساليب التربية وغيرها.

أهمية الدراسة:

١- تستمد الدراسة أهميتها من التربية الإسلامية لأن الدراسة تدخل في محاولات بناء الإطار المفاهيمي للتربية الإسلامية.
٢- التأكيد على الأهمية التربوية للقصة القرآنية في استخلاص الأفكار والمفاهيم التربوية الإسلامية.
٣- إن صح الحديبية نزلت فيه سورة كاملة (سورة الفتح) تتناول جوانيه المختلفة مما يعطى دلالة واضحة على مكانة الصلح في الإسلام.
٤- تفيد هذه الدراسة المؤسسات التربوية في توجيه منطلقاتها وممارستها تجاه النشء بداية بالأسرة فالمسجد والمدرسة والقيادات التربوية عموما.

منهج الدراسة :

جمعت الدراسة بين منهجين أولا المنهج الأصولي: تعتمد الدراسة الحالية على :

١-المنهج الأصولي: وهو المنهج (الطريقة) التي اتبعها علماء أصول الفقه في دراستهم وبحوثهم وفق قواعد ومهارات المنهجية الإسلامية في البحث والدراسة مع تطويع تلك القواعد والمهارات لتناسب الدراسات والبحوث التربوية، حيث يتطلب البحث الرجوع إلى المصادر الرئيسية التي سيعتمد الباحث عليها وهي تشتمل على كتب التفاسير المختلفة : –تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير – تفسير ابن جرير الطبري – التفسير الكبير للفخر الرازي – تفسير في ظلال القرآن – تفسير الطاهر بن عاشور .

٢ -أسلوب تحليل المحتوى: اعتمدت الدراسة على أسلوب تحليل المحتوى وذلك لتحليل المواقف التفاعلية بين شخصيات القصص واستنباط المضامين التربوية التي تضمنتها تلك المواقف والقضايا والأحداث التي وردت في آيات سورة الفتح حيث يتضمن تحليل المحتوى تحليلا كميا ولفظيا وتحليلا للمعنى والمضمون.

مصطلحات البحث:

القراءة التربوية تعنى ما يمكن استنباطه من معان ومجالات وأساليب تربوية اشتملت عليها واحتوتها آيات سورة الفتح من منطوق الآيات أو مفهومها وأقوال المفسرين، والتي يمكن تطبيقها وفق خطوات إجرائية، أو هي مجموعة الأفكار والمفاهيم التربوية التي تشير إليها النصوص والمعاني والتفسير في آيات سورة الفتح في القرآن الكريم .

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع المضامين التربوية للعديد من سور وقضايا تخص القرآن الكريم استفادت منها الدراسة الحالية ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١-دراسة : الشيماء عبد العزيز مصطفي حسين فراج.(2016)

بعنوان : " المضامين التربوية في قصة نبي الله يوسف ."

تتضمن الدراسة تحليل لآيات سورة يوسف التي تتضمن قصة من أحسن القصص القرآني بدأت الدراسة بعرض مفهوم القصص القرآني وأهدافه وأنواعه ثم عرض لتحليل المضمون في سور ومشاهد حوارية ثم عرض للقضايا التي تعرضت لها الآيات القرآنية ثم المضامين التربوية التي أمكن الاستدلال عليها وقد توصلت الباحثة لمجموعة من النتائج منها:

١- التأكيد على مبدأ الاصطفاء من البشر وفق سماتهم وقدراتهم حيث اصطفى الله يوسف من بين أخوته بما يؤكد مبدأ الفروق الفردية بين الناس.

٢- التأكيد على عدم تمييز بين الأبناء في عمليات التربية مهما كانت درجة الحب لهم

٣- التأكيد على إمكانية تشكيل النفس الإنسانية.

٤- الاعتراف بأهمية الرؤية والأحلام ودورها في التنبؤ بالمستقبل كعلم من علوم الوحي الرباني.

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

- استكمال المضامين التربوية لبقية أنواع القصص القرآني.
- دراسة المفاهيم التربوية في آيات الأمر والنهي وآيات السؤال في القرآن الكريم
- دراسة الأحوال التربوية للأنبياء في آيات القران الكريم.

– دراسة مقارنة بين كتب التفسير التي تناولت القصص القرآني.

٢ -دراسة: عادل منصور صالح "(2016)

بعنوان : المضامين التربوية للقاء التعليمي بين نبي الله موسى وعبد الله الصالح الخضر.

هدفت الدراسة إلى توضيح المضامين التربوية من خلال اعتماد أسلوب القصة كوسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين منها، لما للقصة من تأثير ساحر على النفوس قد ينشأ عن انبعاث الخيال في متابعة مشاهد القصة وتعقبها من موقف لآخر.

الباحث يرى أن إعمال الفكر في المحتوى القرآني وما يحتويه من قصص قرآني بالمنظور التربوي سيؤدي بالضرورة إلى نمو وتزايد الفكر التربوي المنشق من القرآن الكريم كمصدر رئيسي للفكر التربوي في المجتمع الإسلامي.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- أوضحت الدراسة إن اللقاء الذي حدث بين نبي الله موسي وعبد الله الخضر يتضمن عددا من المواقف تناولها الباحث في شكل متدرج وقد تضمن: موقف السعي للبحث عن العلم. موقف الاتفاق على الشروط التعليمية، مواقف الانطلاق في عمليات التعلم ثم موقف الفراق

٢- ينبغي الاستفادة من الروح الإسلامية في بناء الأسس والدعائم التي تقوم عليها عملية التعليم وفهم التصور الإسلامي للعلاقة بين المعلم والمتعلم كما تحددها الآيات القرآنية.

٣– دراسة :طارق محمد غنيمات (2014)

بعنوان: "القيم الاجتماعية والتربوية في سورة النور"

وقد هدف هذا البحث إلى التعرف على التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة النور واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي في استخراج هذه التوجيهات.

وتوصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- إن توجيهات سورة النور اتصفت بالتعدد والشمول لجوانب كثيرة عقدية وتعبدية واجتماعية وفكرية مما يدل على عظمة هذا الكتاب الفريد وبركته العميم، فهو منهج تربوي متكامل.

٢- إن استثمار المعية الإلهية له آثار تربوية كثيرة.

٣- رفع مكانة الموالاة والمعادة في الله حيث تعتبر أوثق عرى الإيمان

٤- إن تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله يؤدي إلى تعظيم النبي ﷺ ومحبته وطاعته فبما أمر وانتهاء عما نهى عنه وزجر.

٥- إن الكفارات الشرعية تقوم على تقويم الغرائز والتحذير من ارتكاب المعاصي وتعمل على تزكية النفس.

٤ - دراسة: سليم عبد الله حجازى (١٤٠٤هـ)

بعنوان: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية:

وهدفت الدراسة الى :

١- التعرف على كيفية الإعداد للعمرة

٢- التعرف على المفاوضات والحرب النفسية.

٣- التعرف على النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية.

وتوصل الباحث الى النتائج التالية :

١- أن وظيفية الإعلام الإسلامى تدخل ضمن استراتيجية الإسلام الشاملة.

٢-حرص الرسول عليه السلام حتى شاع خبر مقتل عثمان فقرر قتال المشركين ودعا الناس إلى مبايعته على ذلك ليبرر القتال وهو مبدأ اعلامي حكيم. يلزم الخصم الحجة ويلزم الاتباع الطاعة لأمر القيادة

٣-اعتماد أسلوب التفاوض والحوار لحل النزاعات.

٤-من الحكمة إظهار بعض المرونة في التفاوض، والتنازل عن بعض المصالح لتحقيق ما هو أهم منها.(الموازنة بين المصالح)

٥ -دراسة: خالد محمد علي (١٤٠٦هـ)

بعنوان: صلح الحديبية وأبعاده فى نشر الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها.

وتهدف الدراسة الى:

١- التعرف على النتائج المباشرة لصلح الحديبية مع قريش.

٢- التعرف على نتائج صلح الحديبية في تاريخ الإسلام .

٣- التعرف على السفراء بين الرسول (ﷺ) وقريش ونتائجها.

وقد توصل الباحث الى النتائج التالية:

١- أن غزوات النبي (ﷺ) وسراياه ساعدت في تنشيط حركة الإعلام الإسلامي وتوجيه انتباه الناس واهتمامهم نحو هذا الدين الجديد.

٢- فضل الصحابة الذين حضروا بيعة الرضوان في الحديبية، أنزل الله فيهم : "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة"..

٣- عاقبة نقض العهود وأنه وخيم للغاية، إذ نقضت قريش عهدها فحلت بها الهزيمة.

٤- عفو الرسول(ﷺ) عن أشد الناس إيذاءً له بعد انتصاره عليهم فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء. وتأليف قلوب حديثي العهد بالإسلام وإنزال الناس منازلهم.

التعليق على الدراسات السابقة:

لقد احتوت الدراسات السابقة التي أطلع عليها الباحث على العديد من المعلومات والأفكار التربوية الهادفة المستمدة من القرآن الكرين والسنة المطهرة قولية كان تاو فعلية وتعتبر الدراسات السابقة كانت دراسات نظرية استخدمت المنهج التاريخ، لسرد الأحداث كما وردت الكتب الموثقة والمصادر الأصلية وكذلك المنهج الاستنباطي التحليلي استخراج المضامين والمبادئ والجوانب التربوية، وكذلك بعض الدراسات استخدمت المنهج الوصفي في وصف الأحداث وبعضا آخر استخدمت المنهج المقارن.

إجراءات الدراسة:

١-جمع وتصنيف الأدبيات التربوية والإسلامية لتحديد مفهوم القصص القرآني وخصائصه وأنواعه التربوية.

٢-عمل دراسة تحليلية وصفية لعناصر قصة صلح الحديبية وبيعة الرضوان وفتح مكة كما جاءت في آيات القرآن الكريم.

٣-عمل دراسة تحليلية موضوعية لمضمون نصوص ومعاني وتفاسير آيات القرآن في سورة الفتح.

٤-صياغة مجموعة من المفاهيم والأفكار التي استدل عليها الباحث من التحليل الوصفي والموضوعي لآيات سورة الفتح.

مفهوم الفكر التربوي الإسلامي:

الفكر هو روح الأمة وأساس بنائها الحضاري، فيه ترتقي الأمم والشعوب نحو العز والمجد، ويمتاز بامتداده الزماني في القدم والحداثة ويمثل الفكر التربوي الإسلامي إحدى صفات الفكر التربوي الإنساني، حيث تأثر بالفكر القديم وامتزج بمعاصره، وأثر في الحديث، كل ذلك وفق معايير وضوابط اكتسبها من مصادره وأصوله، وحركة الفكر التربوي في تطور مستمر، فبدأت حركة بدائية في العصور القديمة، ثم أخذت في التقدم والرقى عبر تعقيدات الحياة وتقدمها الحضاري .

لذلك نجد أن: حضارة المصريين صارت تراثاً بالنسبة لليونان والرومان، وصار الفكر التربوي القديم عبر الحضارات القديمة بمثابة نبراس أو قبس من نور للفكر التربوي الإسلامي الذي أفاد منه بحكم الترتيب الزمني.

وقد ارتبطت حركة الفكر التربوي الإنساني في تطورها بعدة عوامل أهمها (ماهر الجعفري، ١٩٩١: ٣٢٨):.

١- حركة الواقع والمجتمعات من بدائية إلى متحضرة.
٢- تطلعات الأمم والشعوب نحو تحقيق أهدافها القومية .
٣- الموقع المكاني والزماني كأبعاد حضارية رئيسة
٤- الاختلاف في الفلسفات والأفكار.
٥- الرسالات السماوية واختلاف التصورات في العقائد.

ولقد أثمر ذلك في:

أ- اختلاف في وضع تصور واضح عن الإنسان والكون والحياة.
ب- اختلاف في فهم الطبيعة الإنسانية.
ج- اختلاف في الأهداف والمناهج التي تقود الإنسان نحو تحقيق سعادته.
د- وجود علماء وفلاسفة وقادة للفكر ونظريات فكرية (أحمد على الحاج: ٢٠١٣، ٢٤١)

ويعرف الفكر باللغة الإنجليزية بمصطلح (Thought)، هو مجموعة من الأفكار والآراء التي يعمل عقل الإنسان على تفعيلها عند التعامل مع موقف، أو حدث ما، ويعرف أيضاً بأنه وظيفة عقلية تهدف إلى تحفيز الدماغ لفهم، واستيعاب البيئة المحيطة به، حتى يتمكن من تحويل المجهولات التي تواجهه إلى معلومات يقدر على التعامل معها، واستخدامها عند الحاجة كما عرَّف صالح الفكر بأنه: (العملية التفكيرية وهو يعنى الحكم على الشيء وقد يقال ويراد منه نتيجة التفكير، أي ما توصل إليه الإنسان من نتائج بالعملية التفكيرية) (سعد مرسي أحمد : ١٩٧٧ /٢١)

أما الفكر الإسلامي فيقصد به النهج الذي يفكر به المسلمون، أو الذي ينبغي أن يفكروا به، للوصول إلى أهدافهم القريبة والبعيدة (حسين النجار، ١٩٩٢: ٢٩).

يودّ الباحث التأكيد على قلّة التعريفات المذكورة للفكر التربوي الإسلامي رغم انتشاره كمفهوم ومصطلح في حقل الفكر والتربية. وبعد مراجعة الباحث لعدد كبير من كتب الفكر التربوي الإسلامي وتلك المؤلفات والدراسات ذات الصلة بهذا العنوان، أمكنه الوقوف على عدد محدد من تعريفات الفكر التربوي الإسلامي، وهي كالآتي:

- الفكر التربوي الإسلامي: "مجموعة الآراء والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء المسلمين، ويتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بالقضايا والمفاهيم والمشكلات

التربوية"(فليه، ومحمد، ٢٠٠٤، ١٩٣). وهذا التعريف نفسه ذكره كل من الخطيب (١٩٩٥) في كتابه، والبيك (٢٠٠٩) في دراسة له.

- الفكر التربوي الإسلامي: "عبارة عن التميز الفكري الذي وجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وضمن الكتابات التربوية التي جاءت عن طريق مؤلفات أو رسائل أو وصايا أو إشارات في مواضع شتى من الإبداعات والمؤلفات الإسلامية، أنشأها مجموعة من المفكرين ممّن تخصّصوا في الجانب التربوي أو غيره من جوانب الحياة العملية المختلفة" (الرشدان، ٢٠٠٤، ١٤).
- الفكر التربوي الإسلامي: هو "ما أثِر عن علماء التربية الإسلامية من نظريات وآراء وأفكار توارثتها الأجيال وأخذتها من مفكّري التربية الإسلامية قديماً وحديثاً" (سعيد اسماعيل علي : ٢٠١٢ : ١٤٥).

ومما سبق يعرف الباحث الفكر التربوي تعريفاً إجرائياً بأنه عبارة عن إفراز حضاري منبثق عن حركة المجتمع في شتى ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، والتي بدورها تشكل اتجاهاته ومساراته في ميدان التربية، ويكشف عبارة عن الإطار النظري الذي يتسع ليرسم مسار العملية التربوية في شكلها النهائي وفق فلسفة الأمة وعقيدتها وقيمها واتجاهاتها ومصادرها، منطلقاً من فكرها العام ليفي بحاجات المجتمع وتطلعاته وآماله وطموحاته في مجال تربية الفرد والمجتمع وبناء الأمة وحضارتها.

فالفكر التربوي الإسلامي أشبه ما يكون بالكائن الحي ، يتأثر بعوامل قوة الأمة وضعفها، ولذلك سجل حضوراً هاماً على مر العصور، ولم يغب لحظة واحدة ، حتى فيما يقال إنه عصر ضعف وركود ، لذلك لم يصب من أهمل دراسة الفكر التربوي في حقبة من الحقب ، فلكل مرحلة سماتها وخصائصها وفكرها التربوي المنبثق عن الواقع ، ولكل دولة سماتها الحضارية الخاصة ، وأنماطها الفكرية المتميزة حتى إن الدولة الواحدة شهدت مراحل نمو وازدهار وضعف في حركة الفكر التربوي (سعيد اسماعيل علي ، ١٩٩١: ٥٤ –٥٥) .

ولابدّ من تحليل التعريف وتقريبه بما يوضح صورته الكلية بشكل عملي ومنهجي، وذلك وفقاً للملاحظات الآتية:

- هذا التعريف متسق مع ما تمّ اختياره من تعريف للفكر الإسلامي ومراعياً لطبيعة الفكر.
- يحدد التعريف نوع النتاج المعرفي للعقلية المسلمة بالنتاج التربوي فقط (الجانب التربوي)، وهذا التحديد قيد في غاية الأهمية لتمييزه عن غيره من أنواع ومجالات الفكر.

- النتاج التربوي: يشمل كل ما تمّ تقديمه من قبل العقلية المسلمة من عمليات اجتهادية في مجال التربية والتعليم: من آراء وتوجهات ونظريات وأنشطة وأساليب ورؤى وآداب وتزكية ووسائل وغيرها مما له صلة بالعملية التربوية ونظرياتها. وتمّ تقييد هذا النتاج التربوي بالمعرفي حتى يخرج منه النتاج المادي الذي هو عبارة عن "مدنية" أو "حضارة مادية". فالبناء المدرسي المادّي بحدّ ذاته ليس فكراً تربوياً، لكن ما يتعلق به من تاريخ وأهمية ومواصفات ذات علاقة بالعملية التعليمية، ودور اجتماعي وتطور في الأداء والرسالة وغير ذلك، كل ذلك يعدّ فكراً تربوياً.

مصادر الفكر التربوي الإسلامي :

في اللغة العربية: "صدر: الصاد والدال والرّاء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خلاف الوِرْد، والآخر صدْر الإنسان وغيره"(ابن فارس، ١٩٩٨، ٥٨٧)، "والصدَّرْ: أعلى مقدّم كل شيء وأوّله، وصدّر كتابه: جعل له صَدْراً، والمَصْدَرُ أصل الكلمة التي تصدر عنها صادر الأفعال، وتفسيره أن المصادر كانت أوّل الكلام، كقولك: الذّهاب والسَّمع والحفِظ، وإنّما صدرت الأفعال عنها، فيقال: ذهب ذهاباً، وسمع سماعاً" (ابن منظور، ٢٠٠٥، ٤٩٦\٣)، وصَدّر الشيء عن غيره بمعنى نشأ، ويُقال: فلان يصدر عن كذا، أي: يستمد منه، والمصدر: ما يصدر عنه الشيء (مجمع اللغة العربية، ١٩٩٨).

وبناء على فهم المعنى اللغوي وبخاصة ما جاء في المعجم الوسيط لكونه حديثاً يناسب الاستعمال الحديث لكلمة المصادر، فإن الباحث يعرّف مصادر الفكر التربوي الإسلامي بأنها: تلك المنابع التي يُستعمل منها فكرنا التربوي الإسلامي، وتلك المخازن التي نَرِدها لنأخذ منها الآراء التربوية، والمنشئات التي تُنشئ منها الأفكار التربوية.

ومصادر الإسلام هي ذاتها مصادر الفكر التربوي الإسلامي. لكن يمكن أن يُقال إن أصناف مصادر الفكر التربوي الإسلامي هي ذاتها أصناف مصادر الفكر الإسلامي؛ لأنه فرع عن أصل، ومجال من مجالاته الكلية، فأصناف المصادر هي ذاتها لكن الاختلاف في محتوى المجال، وكذلك الحال بالنسبة للفكر السياسي الإسلامي وغيره.

كذلك، لا بدّ من التأكيد أننا حينما نريد تحديد مصادر الفكر التربوي الإسلامي، فإن المقصود هو تحديد المنابع التي تُستمّد منها الآراء التربوية، والمرجعيات العلمية التي يتمّ التقيّد بها حينما نريد أن نبني فكراً تربوياً إسلامياً، والمخازن التي تحتوي كّمّاً تربوياً يمكن للأمة المسلمة أن تعالج به واقعها التربوي. لذا وجب على مَنْ يبحث في مصادر الفكر التربوي الإسلامي أن يشير

إلى تلك المصادر كيف يمكن أن تشكل بالفعل مصدرية ومرجعية لإنشاء فكرٍ تربوي إسلامي لا الاكتفاء فقط بالحديث عن المصدر ذاته والتعريف به فقط. (سعيد اسماعيل علي: ١٩٨٤ ، ١٤٧)

يمتاز الفكر التربوي الإسلامي بوضوح مصادره ومصداقيتها وحيويتها في بناء الفكر واستمراره في تأسيس الحضارة الإسلامية عبر عصورها الزاهية وتنقسم مصادره إلى قسمين: وهو ثابت قال تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ) (فصلت: ٤٢) وهذا يشمل القرآن والسنة قال تعالى: (ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) (الحجر: ٩)؛ وبيان هذين المصدرين كالتالي:

أولا : القرآن الكريم :

اختار الباحث جمع القرآن منفصلا عن السنة تحتّ مسمّى "الوحي" باعتباره مصدراً للفكر التربوي الإسلامي، لإعطاء هذا المصدر خُصُوصية "الوحي" المعروفة وللتأكيد على أن كلا المصدرين يقع تحت دائرة الوحي. فالقرآن وَحْي من عند الله، والسنة كذلك وهي من عند الله تعالى. قال تعالى": إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم:٤]، وقال النبي: (ﷺ) ((ألا إنّي أوتِيت القرآن ومثله معه)) (أبو داود، د ت، ح رقم ٤٦٠٤)، أي السنة في مِثليّتها كمرتبة الوحي التي للقرآن، لا مثلية الكم. وهذا شرط أساسي في فقه التعامل مع مصدرية القرآن والسنة، حتى تُعطى "السنة" مكانتها في قوّة الاستدلال، وينظر لما جاءت به مما هو "ثابت" في مجال الفكر التربوي، بأنه وَحْي من عند الله له مكانته التي تليق به. كما يودّ الباحث الإشارة إلى تساؤل قد يطرح، وهو: أين بقية الأدلة (المصادر) الشرعية المعروفة في علم أصول الفقه، كالإجماع والقياس والاستحسان وغيرها؛ والإجابة على ذلك أنها جميعها معتبرة إما برجوعها إلى القرآن والسنة، وإمّا بالتحاقها بدائرة الاجتهاد المعبّر عنها في مسمّيات المصدرين اللاحقين. (محمد دراز : ١٩٨٧ ، ٢١)

فالقرآن الكريم جاء كمصدر أول رسالةً، للعالمين وأساساً للعلوم، فيه يجد الناس حاجتهم على السواء قال تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ) (الأنعام، ٣٨)، فهذا زاد للعابد وللعالم وللعامل وللمفكر والفيلسوف ينهل كلٌ منهم ما يشاء ويتضمن ما يلي- :

- اشتماله على المعطيات الأساسية والمبادئ العامة والمسلمات للنظام التربوي الإسلامي، والتي يعتمد عليها الفكر التربوي في صياغة الإنسان كهدف للتربية الإسلامية (عبد العزيز كامل ، ١٩٩٧ : ٣٢)، قال تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ) (العلق، ١-٥).

- شمولية القرآن على المنهج الرباني القادر على تحقيق سعادة الإنسان، في الدنيا والآخرة من خلال خطابه الشامل، وغذائه للعقل والقلب والروح مصداقاً لقوله تعالى: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ) (الأنبياء: ١٠).
- شموليته على تصور متكامل عن الإنسان والكون والحياة، حيث يسعى لتحقيق حياة سعيدة تتفق مع نظام الكون ويستغل بموجبها الإنسان قدراته لتسخير ما في الكون لخدمته (عبد العزيز عبود ،١٩٧٩: ٣٣). مصداقاً لقوله تعالى: (ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ) (الإسراء: ٨٥).
- هو الإطار المرجعي لنواحي الحياة، وهو أصل التشريع والمصدر الأول والأساس للفكر وفيه بيان لحياة الإنسان كلها من مطالب وتطلعات، بدايات ونهايات (حوّى، "ب "، ١٩٨٨: ٧٢).

ربط القرآن الكريم المباحث المتفرعة في مجال التخصص؛ ليوفر الرؤية الكلية المستمدة من طبيعته، حيث يحفظ الفروع ويقيم بينهما علاقة نسبه وتناسب ويحميها من الانشطار ليكون بقاؤها مرهوناً ببقاء الرؤيا الكلية للمعرفة (النجار، ١٩٩٠: ٢٠٨).

وإشارته في أول آياته إلى القراءة والكتابة كأسسٍ لعملية التعلم قال تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ) (العلق، ١-٥).

وهذا يدفع باتجاه أن القرآن كزاد للجميع قد تناوله الفقهاء لاستنباط الأحكام الفقهية، فحريٌ برجال الفكر أن يتناولونه من زاوية أخرى من زاوية التربية والتنشئة الاجتماعية، لإعادة هذه الأمة فكرياً وتربوياً، وذلك على ضوء فقه العصر وحركة الواقع (النجار: ١٩٩٠، ٩٩)

والقرآن الكريم الذي هو دستور الحياة وكتاب نور وعلم وهداية، ومنهج شامل وبيان لكل جوانب الحياة وما يحتاجه الانسان من معرفة تحدد له أطر العلاقة بربه ونفسه ومجتمعه، وهو كتاب تربية واعداد سماوي انطلاقا من الإيمان بالله الواحد الأحد رب العالمين، فالله تعالى هو رب العالمين، وكلمة الرب مشتقة من التربية وهي تحمل معاني العناية والرعاية والإصلاح والتأديب، وعليه فان الله الخالق تعالى ذكره هو المربي والمؤدب الإنسان من خلال الأنبياء والرسالات السماوية التي تضمنت أسمى وأرفع القيم الأخلاقية التي ترتقي بالإنسان وتجعله مؤهلا لمسؤولية خلافة الله في الأرض، والى هذا يشير رسول الله : (ﷺ) بقوله: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"،(وأورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (١٠٢٠) (هذا الحديث درجته ضعيف . ولكن معناه صحيح.) ورسول الله : (ﷺ) هو المربي الأول لهذه الأمة بالقرآن، فقد أشرف على تربية جيل من الناس فكان ذلك الجيل ظاهرة فريدة عجيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلا حتى الآن، بحيث استطاع

هذا الرجل العظيم أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي ويخرجه من ظلمات التصحر الفكري والعقائدي والأخلاقي والإجتماعي الى نور الايمان والمعرفة وسمو الخلق وسماحة الذات (ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ۋ ۋ ق ق ۇ ۇ ج ج) (الجمعة:٢). (ى ى ې ې ۉ ۉ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې) (لقمان: ١٧) (سعيد علي: ١٩٨٩/١٢٤)

ثانيا: السنة النبوية المطهرة:

السنة في اللغة تعنى الطريق لقوله (ﷺ) :(لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع .... الخ) (البخاري، أحاديث الأنبياء: ٣٤٦١) أي طريقهم وفي اصطلاح الأصوليين وهي ما أثر عن النبي (ﷺ) من قولٍ أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية (السباعي، ١٩٨٥: ٤٧) .

وأما "السنة النبوية" فيعرفها علماء أصول الفقه، بأنها "ما أضيف إلى النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير"(عتر،١٩٨١، ٨١)، والسنة راجعة في معناها إلى الكتاب، "فهي تَفْصيل مجمله وبيان مشكله، وبسط مختصره؛ وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: (ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ۋ ۋ ق ق) [النحل: ٤٤] (الشاطبي، ددت، ٩/٢).

والسنة وَحْي من الله تعالى، لكنها تنسب إلى الرسول (ﷺ) من جهة أنه المنشئ لألفاظها، وأما معانيها فهي من الله تعالى: إما أن ينزل بها جبريل عليه السلام كما ينزل بالقرآن، أو ينفث بها في رَوعه، أو يلهمه إياها مناماً، أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول أو يفعل باجتهاد منه، وهذا الاجتهاد إما أن يقر عليه، فيرجع إلى حقيقة الوحي، أو لا يقرّ، فينبّه إلى الصواب (حسن، ١٩٩٥). ومن الأدلة على كون السنة من الوحي: قوله تعالى: (پ پ پ ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ) "[النجم: ٣-٤]، أي: "ما يقول قولاً عن هوى وغرض، إنّما يقول ما أمر به"(ابن كثير، ٢٠٠٣، ٤/ ٢٦٠)، وقوله : (ﷺ) في الحديث الذي رواه المقدام بن مَعد يكرب رضي الله عنه: ((ألا إنّي أوتيتُ الكتاب ومثله معه)) (أبو داود، ددت، ح رقم ٤٦٠٤)، وقوله : (ﷺ) (أوتيت الكتاب) أي: القرآن، وقوله: (ومثله معه): أي: "الوحي الباطن غير المتلوّ أو تأويل الوحي الظاهر وبيانه بتعميم وتخصيص وزيادة ونقص، أو أحكاماً ومواعظ وأمثالاً تماثل القرآن في وجوب العمل، أو في المقدار"(أبو داود، ددت، ح رقم ٤٦٠٤).

أما السنة وحي من الله كلف النبي (ﷺ) بتبليغها والعمل وفق هديها، قال تعالى: (پ پ پ ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ) (النجم، ٤) وهي المجال التطبيقي، وصورة الالتزام الحقيق بدين الله عز وجل، حيث أمره ربه فقال تعالى: (ج چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ

ﮓ ﮔ ﮕ) (المائدة،٦٧)، ثم زكاه فقال تعالى: (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) (القلم، ٤) وتأتى أهمية السنة كمصدر هام من مصادر الفكر التربوي الإسلامي من خلال :

١- أنها تمثل الجانب التطبيقي لنصوص الوحي، فأفعال الرسول (ﷺ) وسلوكياته وحركاته وسكناته ترجمةٌ لما جاء به الوحي .

٢- أنها شارحة للكتاب مبينه لمحكمه مثل أحاديث الصلاة والزكاة .

٣- فيها بيان لأحكام القرآن من خلال تقييد مطلقه أو تفصيل مجمله، أو تخصيص عامه، كالأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والصيام والزكاة والبيوع؛ وهذا هو أغلب ما جاءت به الأحاديث (السباعي، ١٩٨٥: ٣٨٠).

وهذا ميدانٌ واسعٌ طرقه العلماء، وأعملوا فيه عقولهم؛ فأثمرت بذلك جهودهم في إثراء الفكر التربوي الإسلامي، باعتباره ميدان واسعاً للاجتهاد والإبداع والابتكار، والتدقيق والتحقيق والتأويل في ظل حرية الفكر وحماسة العلماء. فالسنة النبوية بالرغم من تركيزها على الجانب الروحي والخلقي، فإنها لم تهمل إعداد الفرد للحياة، ولا كسب العيش والرزق، ولم تنس تربية الجسم والعقل والقلب والوجدان والإرادة والذوق واليد واللسان والشخصية (فاخر عاقل: ١٩٨٨: ٢٦٧)

وبما أن الفكر التربوي الإسلامي يمثل إنتاج العقلية المسلمة فيما يتصل بالجانب التربوي والتعليمي. فنحن إذن أمام فكر تربوي يوصف بأنه إسلامي، ويتمّ باجتهادٍ عقلي من قبل شخصية مسلمة. وعليه فلا بُدّ أن يكون المرجع الأول والأساس في استمداد هذا الفكر التربوي هو الوحي المتمثل في القرآن والسنة النبوية، فيتمّ تقديمها على غيرهما في أيّ موضوع من موضوعات الفكر التربوي التي يراد بنائها. فمثلاً حينما يتم تناول موضوع "تربية الصغار" في الفكر التربوي الإسلامي، أو تطرح قضية "أساليب التعليم"، فهنا تكون الخطوة الأولى إعمال العقل بما جاء به القرآن والسنة مما له صلة بهذين الموضوعين، جمعاً للنصوص ونظراً وتدبراً وتحليلاً، بما يوصل إلى بناء رؤية تربوية تشكل الأساس الذي تقام عليه تفصيلات تلك المواضيع وتطبيقاتها وتطويرها بالإفادة من سائر مصادر المعرفة الأخرى.

ويشتمل كل من القرآن الكريم والسنة النبوية على مبادئ كلية وتفصيلات محددة فيما يتعلق بميدان التربية والتعليم. لكن يمكن القول بأن المبادئ والمفاهيم التربوية الكلية في القرآن أكثر مقارنة بالتفصيلات، وأن التفصيلات والتطبيقات التربوية في السنة أكثر مقارنة بالمبادئ العامة. وأنه بمراعاة ذلك يمكن أن يُستمد من نبع القرآن ونبع السنة فكراً تربوياً أصيلاً على صعيد أسس التربية والتعليم أو وسائلها وأساليبها أو قضاياها ومشكلاتها اليومية.

والخلاصة، أنّ الوحي متمثلاً بالقرآن والسنة، يعدّ مخزناً لموضوعات الفكر التربوي الإسلامي وقضاياه، بما جاء به من أصول نظرية وتطبيقات عملية تخصّ عَالَم النفس البشرية التي تعدّ "مَعْمَل" التجربة التربوية برمّتها، فهي موجّهة إليها بالأساس. ولو أخذنا مثالاً واحداً على ذلك، وهو ما جاء به الوحي (قرآناً وسنةً) نظرياً وعملياً مما يتعلق بمجال "العِلْم" وحده، لوجدناه يشكل مخزناً معرفياً صادقاً ومختبراً تجريبياً واقعياً، يمكنه أن يرفد الفكر التربوي الإسلامي بوفرة تربوية كافية، شريطة أن يُحسن التعامل معها، وعلى هذا المجال يقاس غيره من المجالات والموضوعات والقضايا التي تخصّ التربية والتعليم وليس هنا محلّ تفصيلها؛ لأن الهدف هو التنظير للقرآن والسنة باعتبارهما مصدراً للفكر التربوي الإسلام .

ثالثا : اجتهادات سلف الامة الصالح :

يشمل اجتهادات العلماء حول نصوص الكتاب والسنة، والعلوم المتعلقة بهما والعلوم القديمة التي ذابت في الفكر الإسلامي وتشربها؛ ويمثل كل ما وصل من الماضي وشكل جزءاً من الحضارة السائدة في حينه، فهو موروث وفي نفس الوقت يعطى على العديد من الأصعدة، والتراث يأخذ معنى الثروة التي انتقلت إلينا من أسلافنا في كافة المجالات، سواء كانت مادية أو معنوية، زمانية أو مكانية (أبو العينين، ١٩٨٨: ٧٠) .

وهذا المصدر بهذه التسمية قد يُنازع فيه الباحث، من جهة تقاربه مع المصدر السابق (التراث)، ومن جهة فائدته وإضافته الجديدة. والحقيقة أن الباحث بعد تأمّل "بواقع" مصادر الفكر التربوي الإسلامي، وجد هناك مساحة لا تغطيها المصادر السابقة، ولا كذلك ما تذكره مؤلفات الفكر التربوي الإسلامي، وهذه المساحة تتعلق بالنسبة للفكر التربوي الإسلامي بفترة ومساحة ما بعد التراث إلى واقعنا المعاصر؛ ذلك أن الفكر التربوي الإسلامي يشمل مساحة الماضي والحديث (الحاضر)، والتراث يغطي الماضي، فكيف نغطي الحديث؟

من هنا؛ فإن هذا المصدر "عملياً" يمثل ذلك الإنتاج التربوي الحديث للعلماء والمفكرين والتربويين المسلمين والذي لا يمكن أنْ نُسميّه تراثاً. فمثلاً هناك المئات من المؤلفات في حقل التربية والتعليم الإسلامي ترجع لعشرات السنين أو لسنوات عدة، وهي تدخل في الإطار الزمني للفكر الحديث أو للتاريخ الحديث والذي قد يرجع إلى مئة سنة أو يزيد، ولا يمكن بحال أن يسْتغني الفكر التربوي الإسلامي المعاصر عنها، فهي مراجع ومصادر معتبرة.

سمات الفكر التربوي الإسلامي:

الفكر التربوي الإسلامي فكر أصيل اتسم بسمات استمدها من مصادره ومنابعه وحركته الحيوية، التي اجتازت اختبار الزمن مما جعلها بارزة ومتميزة ويمكن ملاحظتها فيما يلي :

أهم سمات الفكر التربوي الإسلامي:

١-الربانية: فالفكر الإسلامي ربانيّ في غاياته ومناهجه، إذ الوحي مصدره، قال الله تعالى: (ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ) (آل عمران: ٧٩). فهو ملتزم بتعاليم الإسلام، فالمسلم وثيق الصلة بربه، ربانية الغاية والمنهج، مصدره الوحي.

٢-الشمول: يتسع الفكر التربوي الإسلامي ليشمل جميع جوانب الإنسان، سواء على صعيده الشخصي أم على صعيد علاقته بالإنسان وتفاعله معه أو ما يتعلق بالقوى الخارجية؛ وذلك في كل لحظة من لحظات حياته وفي كل أحواله ليلا أو نهارا ضمن فلسفة الحياة الشاملة لبعدي الدنيا والآخرة عبر منهاج رباني فريد، ووفقا لأهداف إنسانية في تدرج عجيب ومع شمولية التقويم لكافة خطواته المادية والمعنوية، وذلك يتمشى مع الطبيعة الكلية للإنسان وهذه الشمولية في الفكر التربوي مستمدة من شمولية هذا الدين (أبو العنين، ١٩٨٦: ١٣٩).

٣-الوضوح: حيث يمتاز الفكر في الإسلام بوضوح المحتوى والأهداف والوسائل، وهو يسير في طريق موازٍ للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومنسجمٌ مع المهمّة التي انتدب الله الإنسان لتحقيقها، وهي عمارة الأرض بالحقّ والعدل، قال الله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) (الأعراف: ١٢٩).

٤-التكامل: ومعناه أن يتناول الإنسان هذا الفكر على أنه كل لا يقبل التجزئة ومن جميع جوانبه في صورة متكاملة مع المجتمع الذي يعيش فيه؛ وللتكامل عدة أنماط فقد يكون تكاملاً بين الوسائل والأهداف أو تكاملاً بين النظرية والتطبيق أو بين العلم والعمل أو بين مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية. (أبو العنين، ١٩٨٦: ١٤١) .

٥-التوازن والتوسط: بين طرفي الإفراط والتفريط، انطلاقاً من قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: ١٤٣) فالفكر الإسلامي يوازن بين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة، وبين الحقوق والواجبات، بين الثبات والمرونة، وبين الفردية والجماعية، وبين العقل والنقل، وبين المثالية والواقعية، فالإنسان جسد وروح وعقل، وحاجاته هي مادية وروحية وفكرية، وقد أولى الإسلام كل هذه الجوانب العناية والرعاية في انسجام وتوافق، فلا يطغى جانب على جانب، وهذا التناسق هو الذي يحقق التوازن. : (عبد الخالق فؤاد :٢٠٠٧ :٢٩)

وبناءاً على ذلك وضع العلماء المسلمون قديما تصورهم الفكري حول الإنسان ورسموا له منهاجاً تربوياً يتسموا بالتكامل وربطوا بين أجزاء أنماطه فجعلوا مثلاً ضرورة العلم بالعمل وكذا بيان الأهداف وتحديد الوسائل ووظيفية المعرفة في الواقع وفي هذا المعني يقول تعالي (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ) (الصف : ٢-٣).

وعلى هذا الأمر من الشمولية والتكامل تكونت ثقافة المسلمين وفكرهم وأصبح ميداناً فسيحاً تتبلور من خلاله شخصية الإنسان المسلم يتعامل الفكر التربوي مع الواقع فهو وليد الحركة ولا ينطلق من التصورات العقلية المجردة ولا المثاليات متجاهلاً واقعه من جميع جوانبه وذلك في إطار من الوسطية والتوازن. (أبو العنين، ١٩٨٦: ١٤١).

من خلال ما سبق نجد أن أهم سمات الفكرالتربوي الإسلامي تتلخص في الآتي: أنه فكر قوى ذابت فيه أفكار الأمم والشعوب المغلوبة ولاتسامه أيضاً بالحيوية والمرونة في تعامله مع الفكر الإنساني فكان فكراً انتقائيا اتسع ليرسم الخطوط العريضة لإعداد الإنسان للدنيا والآخرة موظفاً العلوم العقلية والنقلية في صورة شاملة متكاملة مراعياً طبيعة الإنسان وفقاً لما نص الإسلام مصداقاً لقوله تعالي: (ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ) (النجم: ٣٢).

ويلاحظ أن الفكر التربوي الإسلامي في شموليته وتكامله وتوازنه ووظيفته قادراً على العطاء المستمر مواجهاً لتغيرات العصور قادراً على التكيف ملبياً لحاجيات المجتمع ومطالبه ملتحماً مع الواقع مما أضفى بضلاله على الفرد والمجتمع في صورة متميزة وفريده. (محمد الهادي عفيفي وآخرون ١٩٧٢)

قراءة لبعض آيات سورة الفتح :

يقول الله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ)

الأهداف الإجرائية والسلوكية:

١-أن نعلم فضل الله على المؤمنين.

٢-أن نقف على عاقبة المنافقين والمشركين.

٣-أن نتعرف على وظيفة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

المحتوى التربوي:

تفتتح السورة بهذا الفيض الإلهي على رسوله: فتح مبين ،ومغفرة شاملة ونعمة تامة وهداية ثابتة ، ونصر عزيز ، انها جزاء الطمأنينة التامة لإلهام الله وتوجيهه ، والاستسلام الراضي لإيمانه وإشارته ، والتجرد المطلق من كل إرادة ذاتية ، والثقة العميقة بالرعاية الحانية ، يرى الرؤيا فيتحرك بوحيها ، وتبرك الناقة، ويتصايح الناس : بركت ناقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحين شاع أن عثمان قتل يقول(صلى الله عليه وسلم) لانبرح حتى نناجز القوم ويدعو الناس للبيعة فتكون بيعة الرضوان التي فاض منها الخير على الذين فازوا بها وسعدوا، وكان هذا هو الفتح الى جانب الفتح الآخر الذي تمثل في صلح الحديبية. وكان فتحا في الدعوة فقد دخل في تلك السنتين بين صلح الحديبية وفتح مكة مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر ، وكان فتحا في الأرض فقد أمن المسلمون شر قريش. (محمد قطب : ١٩٩٨ ، ٧٦)

ما ترشدنا اليه الآيات تربويا:

١-أثر القران الكريم والتربية النبوية الواضح في التغيير حيث اطمأنت نفوس المؤمنين لتكاليف هذا الدين وتحمل مسؤولياته.

٢-ضرورة الوفاء بالعهد والالتزام بالوعد وخاصة اذا كان عهدا مع الله تعالى.

٣–من فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين مغفرة الذنوب واتمام الدين.

قوله تعالى الآيات : (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ) **[الفتح:١٦]**

الأهداف الإجرائية والسلوكية:

١-أن نعلم مشروعية الاختيار والامتحان لمعرفة القدرات والمؤهلات.

٢-أن نتعرف على أصحاب الاعذار في التخلف عن الجهاد.

٣-أن نعلم أن سنة الله أنه ما تقاتل أولياء الله مع أعدائه في معركة الا نصر الله أولياءه على أعدائه.

المحتوى التربوي:

أمر الله نبيه يخبر المخلفين أنهم سيبتلون بالدعوة الى جهاد قوم أشداء ، يقاتلونهم على الإسلام ، فاذا نجحوا في هذا الابتلاء كان لهم الأجر ، وان هم ظلوا على معصيتهم وتخلفهم فذلك هو الامتحان الأخير ، ونلحظ طريقة التربية القرآنية ، وطريقة علاج النفوس والقلوب بالتوجيهات القرآنية ، والابتلاءات الواقعية ، وهذا كله ظاهر في كشف نفوسهم لهم وللمؤمنين ، وفي توجيههم الى الحقائق والقيم وقواعد السلوك الايماني القويم.(سعيد حوى : ١٩٩٩ : ١٢٨)

نتائج الدراسة :

١- إن توقير نبينا محمد ﷺ واجب علينا فقد نذر حياته لدعوته ، وضحى في سبيل أن تصل إلينا نقية بيضاء ، وهو مستحق منا تعزيرا وتوقيرا ، وبتطبيق ما أمرنا به ، والابتعاد عن ما نهانا عنه، وتجنب الغلو الذي وقع فيه النصارى مع نبي الله عيسى أفضى الى تأليهه.

٢- أسماء الله تعالى حسنى وعليا وإحصاؤها حفظا ومعرفة وتطبيقا واقعا سبيل فوز في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الآثار التربوية للإيمان بها ، أنها تزيد الأيمان وتملأ القلب اطمئنانا وتزكي النفوس ، ويثبت على الطاعة ، وتزجر عن المعاصي.

٣- من أهم صفات أبطال الفتح والتحرير الرحمة بينهم ، والشدة على عدوهم، وكثرة ركوعهم وسجودهم.

٤- أبرز الآثار المترتبة على التخلق بصفات أبطال الفتح ، تماسك المجتمع ، والنصر على الأعداء ، والتمكين في الأرض.

٥- من أعظم أسباب زيادة الإيمان معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ، والإكثار من ذكر الله والتأمل في آيات الله الكونية ، ومخلوقاته، والأعمال الصالحة.

٦- أهم الآثار المترتبة لزيادة الإيمان ، الحياة الطيبة ، والتمكين في الأرض، والثبات عند المحن ، والقبول في الأرض ، والسكينة.

٧- من أبرز الآثار التربوية المترتبة على التصديق برؤيا الأنبياء زيادة إيمان المؤمن وطمأنينته.

٨- للقلب أضرب ثلاثة وهي: القلب السليم الذي استقام على أمر الله ، والقلب الميت الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، والقلب المريض الذي يخلط بين الأعمال.

النتائج والتوصيات.

١- إعداد البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم ونشرها بين المسلمين لتعم الفائدة.

٢- تربية المتعلمين على معاني سورة الفتح الجليلة ، ليستحوا وعد الله بالنصر .

٣- انشاء مراكز متخصصة في التربية التي تعنى بأسلمة مناهج التعليم وجعل الفكر الإسلامي منطلقا لنهضة تربوية تذلل الصعاب وتوجد الحلول وتتبنى المبادرات امام كافة مشكلاتنا التربوية التي تواجه المربين .

المراجع:

١- سعيد إسماعيل علي: أصول التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٦م.

٢- سعيد إسماعيل علي: القرآن الكريم رؤية تربوية، القاهرة، دارالفكرالعربي للطباعة والنشر ٢٠٠٠م.
٣- جابر بن موسى بن عبد القادر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكمة، ٢٠٠٣م.
٤- فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، الأردن، دار الفرقان، ١٩٨٥م.
٥- حسني نصار: دراسات وصور في أدب القصة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م.
٦- جمال الدين محمد بن منظور: لسان العرب، ج١٣، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٧- أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، ج٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
٨- أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط٢، دار التراث العربي، مصر، ١٩٩٠م.
٩- أحمد سعيد الغامدي: العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي ومضامينها وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإدارة التربوية والتخطيط، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٩م.
١٠- الشيماء عبد العزيز مصطفي حسين فراج: المضامين التربوية في قصة نبي الله يوسف، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠١٦م.
١١- عادل منصور صالح: المضامين التربوية للقاء التعليمي بين نبي الله موسى وعبد الله الصالح الخضر، كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠١٦م.
١٢- طارق محمد غنيمات: القيم الاجتماعية والتربوية في سورة النور، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التنمية الاجتماعية والأسرية، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٤م.
١٣- خالد محمد علي يماني: صلح الحديبية أبعاده في نشر الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.